الإسلاموفوبيا: جدلية الدين والسياسة في المجتمع الأمريكي

أ. سالم أحمد العجيل
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة طرابلس
Salem.ajil1954@gmail.com
د. عبد الهادي اللافي علي
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة اجدابيا
Lafy2010@yahoo.com

Abstract

This paper has dealt with the dialectic relation between religion and politics in the American Community with special focus on Phenomena of phobia from Islam which is commonly called as (Islamophobia). This terminology has become familiar in an intensive & remarkable manner within the political and Media sectors after the events of 11th September 2001 in the western communities , and in particular , the American community. This paper has set out its objectives in defining the Islamophobia concept and the follow- up of emergence and development. As well as the presentation of the dialect relating to the religious and political aspects of this concept in the western political thought and the development of the same. And consequently the analysis of the impact of 11th September events in establishing the concept of Islamophobia and politically exploit that concept domestically in America through linking between the two terms

(Terrophobia & Islamophobia) within the context of war against terrorism.

The paper has reached to several results , such as:- The Islamophobia phenomena in the west is not new but renewable.

The Islamophobia concept has witnessed quantum transformation in the intensity of use in the western world after 11th September 2001

As well as , the Islamophobia phenomena has witnessed a significant shift inside America , , which is represented in the material , moral and institutional transformation nature after the attacks of 11th September 2001 that targeted the United States of America and its economic and military character. The Islamophobia impact in the American community was of extreme effect , and extensive sectors of the American community have become more satisfied and influenced by the speech addressing Islamophobia , , which indicates that the negative viewpoint on Islam has remarkably increased.

مقدمة:

أصبح مصطلح "الإسلاموفوبيا"رائجاً وبشكل مكثف وملحوظ في الأوساط السياسية والإعلامية بعد 11 سبتمبر 2001، كما شغل حيزاً واسعاً من الاهتمامات الأكاديمية في مسعى لاستجلاء المفهوم واستنطاق كنه العلاقة الجدلية بين الديني – السياسي في سياقاته ومضمونه وعناصره ومكوناته . فالمصطلح حمل دلالات قيمية منذ أن تبلور في الأدبيات الغربية وفي وقت مبكر، وخضع لعملية أدلجة مقصودة وممنهجة غايتها تسييس المفهوم وتوظيفه في ما عرف"بالحرب على الإرهاب"بعد 11 سبتمبر 2001. حيث بدأ واضحا وجلياً الربط بين مصطلحي"الإسلاموفوبيا""والإرهابوفوبيا"أي الربط المتعمد والمقصود ما بين الخوف من الإسلام والخوف من الإرهاب. والغاية النهائية تكمن أولاً في تشويه الإسلام، وثانياً الربط ما بين الدين الإسلامي والإرهاب، وثالثاً استهداف الإسلام والمسلمين والعرب مادياً ومعنوياً وحضارياً.

إشكالية البحث:

يثير مفهوم الإسلاموفوبيا الكثير من التساؤلات ويطرح نفسه بقوة على بساط الجدل والنقاش بخاصة مع كثافة استخدام المصطلح عقب هجمات 11 سبتمبر 2001 التي استهدفت الولايات المتحدة في عقر دارها من خلال رمزية التفجيرات التي طالت برجي مركز التجارة العالمي ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية"البنتاغون"وهي رمزية لها دلالتها وأهميتها. وتدور الإشكالية الرئيسة للبحث حول سؤال محوري يمكن صياغته كالآتي: هل مصطلح الإسلاموفوبيا مجرد تعبير عفوي ومنزه عن الغرض أم أنه صناعة دلالية متقنة لها أهدافها وغاياتها السياسية المقصودة بخاصة في الفضاء المجتمعي الأمريكي ؟.

أهمية البحث:

تتأتى أهمية هذا البحث من اعتبارات عدة، منها:

– كون موضوع الإسلاموفوبيا صار من الموضوعات المهمة التي باتت تشغل حيزاً واسعاً من الاهتمامات الأكاديمية والسياسية والإعلامية كما أصبح موضوعاً يطرح نفسه بقوة على أجندة المؤتمرات العلمية والدولية.

– تنامي الاهتمام بظاهرة الإسلاموفوبيا وربطها بقضية الإرهاب بعد 11 سبتمبر 2001، حيث أحتل هذا الموضوع أولوية سلم القضايا العالمية وتصدر اهتمامات المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية. كما أن موضوع الإسلاموفوبيا أصبح محورياً في كل المحافل والمنتديات والمؤتمرات التي تهتم بحوار الأديان والحضارات.

– موضوع الإسلاموفوبيا موضوع مهم لفهم كيفية إدارة الغرب الصراع الحضاري مع العالم الإسلامي وكيفية توظيف الدين في خدمة السياسة وتغليف القضايا السياسية بحجاب ديني لتحقيق أهداف محددة تسكن صلب الاستراتيجية الغربية وبخاصة الاستراتيجية الأمريكية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

1- التعريف بمصطلح الإسلاموفوبيا كمفهوم أولاً، وكتاريخ ثانياً، من خلال تتبع نشأته وتطوراته.

2- استعراض السجالات والنقاشات ذات العلاقة بجدلية الديني – السياسي، وابراز تمثلاتها الواقعية وتجاربها التاريخية بخاصة في تاريخ الفكر السياسي الغربي. وعلاقة الإسلاموفوبيا بهذا السياق.

3- وصف وتحليل تداعيات سياسات الإسلاموفوبيا على المجتمع الأمريكي بعد 11 سبتمبر 2001 وأثار ذلك على مستقبل المسلمين في الولايات المتحدة بخاصة وفي الغرب بصفة عامة.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي بهدف وصف ظاهرة الإسلاموفوبيا والتعرف على مكوناتها وعناصرها ومقولاتها الأساسية التي تشكل أسس خطابها النظري والأيديولوجي. ومن ثم تحليل تفاعلاتها السياسية وتحولاتها ونماذجها الفكرية والمادية في إطار الصراع بين الغرب والإسلام. كما يستعين الباحث بأسلوب دراسة الحالة باعتماده على وصف وتحليل واقع الإسلاموفوبيا في الداخل الأمريكي على المستوى الثقافي والفكري وكذلك على صعيد الممارسات والمأسسة لهذه الظاهرة. ويعتمد البحث في جمع وتحليل البيانات والمعلومات على أسلوب البحث المكتبي استناداً على مصادر معلومات أولية، ومصادر ثانوية تتمثل في عدد من الدوريات والأبحاث والدراسات والمواقع الإليكترونية التي تناولت الموضوع وأبعاده المختلفة

تقسيمات البحث ومحاوره:

بغية تحقيق الإهداف البحثية، يسعى الباحثان إلى تغطية موضوع البحث من خلال المحاور الآتية:

أولاً / جدلية الديني والسياسي في تراث الفكر الإنساني.

ثانيا/ الإسلاموفوبيا: المفهوم والتطور

ثالثاً / الإسلاموفوبيا في الداخل الأمريكي

رابعاً / الخلاصة والنتائج.

أولاً / جدلية الديني والسياسي في تراث الفكر الإنساني:

جدلية الديني والسياسي ليست جدلية جديدة ولكنها متجددة، وهي تطرح ذاتها في كل العصور وعبر مختلف الأزمنة، بمعنى أنها ليست وليدة بيئة محددة ولا مكان محدود بعينه. كما أنها ليست نتاجاً تتميز به حضارة أوثقافة دون سواها. بل أن هذه الجدلية كانت حاضرة دائما وهي تشكل محوراً لصراعات وسجالات عدة شهدها التاريخ الإنساني وعبر مختلف الحضارات والثقافات، فهي

جدلية تسكن صلب الفكر السياسي وتتوغل بعمق في تاريخه القديم والحديث والمعاصر. علاوة على كونها تميز كل سياسات الحكومات والأنظمة السياسية على اختلافها وتنوعها.

ويمكن القول أن جوهر ومضمون جدلية الديني – السياسي تتعلق بتوظيف الدين في خدمة السياسة أو بمعنى مماثل تسييس الدين، هذا من جانب، ومن جانب أخر، تتعلق هذه الجدلية بمحاولات إضفاء طابع ديني على المسائل والقضايا الدنيوية والسياسية بهدف تبريرها وتسويغ منطقها وتحقيق الأهداف المرجوة منها وهذا أمر مستقر في أدبيات وواقع الفكر السياسي والفلسفة السياسية وأهدافها. حيث أن غايات ومقاصد الفكر السياسي تتجه نحو غايتين هما: **(لامة، 2013، ص 189)**

– **غاية التبرير**: حيث يسعى الفكر السياسي إلى تبرير الأوضاع القائمة والسائدة خلال مرحلة ما وفي

مكان ما. فهو اتجاه محافظ يمكن لنا تلمسه مثلا في فكر القديس أوغسطين في سعيه إلى تبرير سلطة الكنيسة ومصدر هذه السلطة.

– **غاية التغيير**: حيث يسعى الفكر السياسي إلى رفض الأوضاع القائمة ويتضمن دعوة صريحة أو ضمنية لتغييرها، فهو اتجاه مناهض لما هو سائد، وهو اتجاه ثوري بالنسبة لمرحلة ما ومكان ما. يمكننا تلمس بوادر هذا الاتجاه في الفكر السياسي اليوناني بخاصة عند أفلاطون في كتابه الجمهورية الذي طور من خلاله نقداً شديداً وحاداً للأوضاع السياسية وللتجربة الديمقراطية في أثينا، داعياً إلى فكرة الفيلسوف الحاكم.

ونجد لجدلية الديني – السياسي ممارسة وتجربة حقيقية في الإمبراطورية الرومانية، مثلا، بخاصة في عصرها الثاني الذي تميز بظهور الديانة المسيحية وإنشطار السلطة ما بين سلطة زمنية يمثلها القصر الإمبراطوري وشخصية الإمبراطور الروماني بوصفه ظل الله على الأرض، وما بين سلطة دينية مناظرة ومنافسة، بحيث"أصبحت الكنسية مؤسسة ذات طبيعة روحية، مالكة لقوة لا يمكنها التأخر عن الانشغال بالشؤون الدنيوية" **(شاتيليه وأخرون، 1984، ص 37)**. الأمر الذي قاد نحو إنتاج نظريات تبرر السلطة وتسعى إلى ردم أو تجسير الخلاف الدنيوي – الديني كما في نظرية"السيفين"أو ما عرف بنظرية"الولاء المزدوج"وما ترتب عليها من ظهور مقولة"أعطي ما

لقيصر لقيصر، وما لله لله". بل أن جدلية الديني – السياسي قادت إلى أحداث" توتر جوهري داخل المسيحية: بين الروحي والزمني، بين فكرة العمل من أجل الخلاص وبين فن السياسة"(**نيوف، ص 39**). وبالمثل نجد أمثلة تاريخية كثيرة على التوظيف الديني أو أدلجة الدين وتسيسه، لعل أبرزها سلسلة الصراعات التي شهدتها أوروبا وتمتد جذورها إلى القرن الخامس عشر فيما عرف في التاريخ الأوروبي بثورة الإصلاح الديني، ومن تم سيادة عصر الأنوار وغلبة التيار العلماني (الفصل بين الدين والدولة) وهو في الحقيقة منتج سياسي هدفه"التمهيد للثورة الاجتماعية البرجوازية، ومقدمة ضرورية لها، بما قدمته من صياغات إنسانية للدين قادرة على مواكبة احتياجات العصر والتنظير لها" (**خليفة، 2005، ص 195**). بل لا تخلو الماركسية من حضور جدلية الديني – السياسي في ظل معطيات وظروف ليست معزولة عن البيئة الفكرية والحضارية والسياسية في الغرب. حيث انتبهت الماركسية إلى طبيعة هذه الجدلية فعملت على إقصاء الدين ونعته بأفيون الشعوب. وكانت أن ميزت الماركسية"بين الدين من حيث هو ثورة حقيقية في باكورته الأولى، ولكن عندما يتحول الدين إلى مؤسسات يوظفها النظام يصبح الدين تأوها للإنسان المقهور كتعبير عن المعاناة الاجتماعية للبشر. فثورة الدين ثورة ظاهرية أو ثورة خيالية . إنه أفيون الشعوب" (**خليفة، 2005، ص 13**).

وفي حقيقة الأمر، وفي سياق تناولنا لظاهرة الإسلاموفوبيا يمكن التأكيد على أن بروز هذه الظاهرة ومأسستها على الصعيد الغربي والأمريكي بخاصة يدخل في صلب جدلية الدين والسياسة، فالإسلاموفوبيا هي توظيف سياسي للدين وبامتياز. فقد تم الاشتغال السياسي، وبحرفية متناهية، على ظاهرة الخوف من الإسلام بكثافة عبر تمثل صورة لإسلام متخيل يقوم على العنف والرعب والإرهاب ونشرها على نطاق واسع في الأوساط الغربية – بخاصة في الوسط الشعبي – والعمل بكل الوسائل على تضخيمها وتهويلها بشكل ممنهج ومقصود. وكما يرى البعض" ليس للإسلاموفوبيا صلة قائمة بالخوف بل بالتخوف أو الاستخواف إن جاز هذا التعبير، إذ هي تشخيص لصنف من المخاوف المرضية المزمنة، التي لا تدلل على قدوم أو حصول خطر ما، ولا تشكل تعبيراً صحيحاً وصادقاً عنها. فهي حاصل تركيب ذهني عجيب يخلط بين واقع ومتوقع، وخوف وتخوف، وعقل وتخيل، إنها إذن استنتاج ثقافي مقصود لمسبقات مواقف ومشاعر متعددة عن الآخر، الغرض منها صناعة رأي عام لتعزيز الخوف واختلاق التهديدات، وتضخيمها تجاه

شريك غير مرغوب فيه. فهي دعاية مغرضة لا تفسر الخوف من الإسلام، إنما توظف هذا الخوف لتبرير سياسات عدوانية مأصولة فكرياً، تتخذ كذريعة لتمرير اختيارات سياسية لا يمكن تبريرها في أي منطق أخلاقي أو قانوني (**إدناصر، موقع مؤمنون بلا حدود**).

ثانياً / الإسلاموفوبيا: المفهوم والتطور:

الإسلاموفوبيا Islam phobia من حيث الاشتقاق اللغوي يحيل إلى"اللفظ اليوناني phobos والذي يحيل على الخوف اللاشعوري واللامبرر, استناداً لهذا يمكن القول بأن الإسلاموفوبيا خوف لاشعوري ولا مبرر ورفض عشوائي للإسلام" (**راضون، 2006، ص 6**).

الإسلاموفوبيا بهذا هو لفظ أو مصطلح مكون من كلمتين: إسلام و فوبيا. وبذلك يتكون مصطلح"الإسلاموفوبيا"من نحت لغوي لمفردتين"الإسلام"، و"فوبيا"ذي الجذور الإغريقية بدلالة الخوف غير المبرر والمصطلح على ترجمتها بـ"الرهاب"على وزن"فعال"الخاص بالإمراضية (**موقع المجلة العلمية المغربية**).

وعقب التطورات والأحداث التي شهدتها عواصم الغرب بخاصة الأحداث التي شهدتها باريس العاصمة الفرنسية أواخر العام 2015 اقترحت صحيفة لوموند الفرنسية تعريفاً للإسلاموفوبيا يفيد"الأصل في كونه خوفًا جماعيًّا من الدِّين الإسلامي، قبل أنْ يضحي في السنوات الأخيرة، بمثابة ردود الأفعال الصادرة تجاه الأشخاص المسلمين أوْ التي يحتمل أنْ تطالهم. على أنَّ الفوبيا كانتْ تعنِي منْ النَّاحيَة الإيتيمولوجيَّة الخوف، قبل أنْ يفضي التَّطُور الدلالِي لها في السياق، إلى جعلها تفيدُ الكراهية الاجتماعيَّة، على غرار مفهوم كراهية الأجانب"."Xenophobes (**تمارست، موقع صحيفة هسبريس**).

وتشير الدراسات الأكاديمية الغربية منها بصفة خاصة إلى أن المرحلة الإولى في تبلور المفهوم والتكون الجنيني له يعود إلى الدراسات الإستشراقية التي بدأت في نحت المفهوم ونبشه وأن لم تعلن صراحة عن هذه التسمية. وترى بعض الأدبيات أن النشأة الأولى لاستخدام مفهوم"الإسلاموفوبيا"في الأدبيات والكتابات الغربية تعود إلى عشرينيات القرن الماضي، مقترنة بالدراسات الاستشراقية"حيث استخدمه مستشرق بلجيكي هو هنري لامينس . الذي عاش في لبنان لسنوات . في سياق كتاب له عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن المصطلح ورد

ذكره أيضًا في كتاب للرسام الاستشراقي الفرنسي ايتيان ديني بعنوان:"الشرق كما ينظر إليه من الغرب"(تمارست، موقع صحيفة هسبريس).

وفي مرحلة لاحقة اكتسب مفهوم الإسلاموفوبيا أبعاداً سياسية واضحة الدلالة تعكس التوظيف السياسي للدين بغية العمل على خلط الدين بالسياسة وتهدف في المقام الأول إلى تشويه الدين الإسلامي والتصنيف السياسي للمسلمين والعرب على وقع الهوية الدينية. وهي مرحلة تميزت بتوظيف كل الوسائل السياسية والإعلامية والتكنولوجية والمخابراتية وعملت على نشر صورة نمطية للإسلام والمسلمين والعرب بوصفهم متخلفين وهمجيين ورعاع وجشعين وطلاب متعة وفسق وفساد. وقد بدأت هذه المرحلة في التبلور والتكون"منذ أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي إثر بروز ظاهرة ما يسمى"الصحوة الإسلامية"أو"صعود الإسلام السياسي"في العالم العربي والإسلامي، وخاصة بعد الثورة الإيرانية بزعامة الإمام الخميني عام 1979" (تمارست، موقع صحيفة هسبريس).

في إطار التحقيب التاريخي والمفاهيمي لمفهوم الإسلاموفوبيا تذهب بعض الأدبيات إلى اعتماد ثنائية (ما قبل – وما بعد 11 سبتمبر"بهدف الوقوف أولاً على شدة كثافة استخدام المفهوم من جهة، وثانياً فحص تحولات المفهوم وآليات إنتاجه. حيث تتميز مرحلة الما قبل بتوظيف الأدبيات الغربية في تجاه التنظير للمفهوم بواسطة"مجموعة من المسلمات المسبقة والسلبية عن الإسلام والمسلمين. لتي بدأتها المخابرات البريطانية عبر لورنس العرب وملاحظاته. وأكملتها المخابرات الأميركية في سياق عملها على رسم قوالب نمطية للأمم والشعوب بهدف وضع قوالب سلوكية للتعامل معهم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم علماء النفس والإنثروبولوجيا الذين رسموا هذه القوالب كانوا من العلماء اليهود المهاجرين من ألمانيا هربًا من النازية (تمارست، موقع صحيفة هسبريس).

وتخلص بعض الأدبيات إلى أن مرحلة ما قبل 11 سبتمبر حين مقاربتها لاستخدامات مفهوم"الإسلاموفوبيا"بخاصة في فرنسا تميزت بندرة استخدام المفهوم إلى درجة أن دراسة علمية مهمة رصدت مرات استخدام المفهوم في صحيفة لوموند الفرنسية خلصت في نتائجها إلى أنه خلال الفترة ما"بين **1** يناير **1987** و**10** سبتمبر **2001** أي قبل يوم واحد على تفجيرات نيويورك لم تسجل استخدام المفهوم سوى مرتين الأولى سنة **1994** فيما الثانية في

فبراير **2001**.حيث نفس العدد من المرات سيجل أيضا على امتداد نفس الفترة بالنسبة لصحيفة لوموند ديبلوماتيك، الأولى في إطار روبورتاج حول مدينة مرسيلية في يوليو 1997، فيما الثانية تنسب للمفكر السويسري العربي الأصل طارق رمضان في أبريل من عام 1998 (رضوان،2006، ص 6-7). وفي مرحلة ما بعد **11** سبتمبر تميز مفهوم الإسلاموفوبيا بحضور مكثف في الحياة السياسية والإعلامية وفي الأوساط الشعبية في الغرب سواء في أوروبا أو في الولايات المتحدة على وجه الخصوص. كما اكتسب المفهوم بعداً مؤسسيا. حيث"سيصبح استعمال المفهوم دارجاًعلى لسان الجميع في فرنسا كما في باقي الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية هكذا سيظهر في أكتوبر **2001** مفهوم الإسلاموفوبيا على الموقع الإلكتروني لكل من المرصد الأوروبي لظواهر العنصرية ومعاداة الأجانب بفيينا EUMC والشبكة الأوروبية ضد **العنصرية**ENAR. أما في فرنسا فإن سنة **2003** ستعرف تنظيم يوم دراسي في موضوع du Racisme anti-arabe à l'islamophobie من قبل منظمة الحركة ضد العنصرية ومن أجل الصداقة بين الشعوب MRAP كما سيتشكل التجمع ضد الإسلاموفوبيا بفرنسا CCIF الذي أصدر أول تقاريره في **21** أكتوبر **2004**"(رضوان، 2006، ص 7). ويلاحظ أنه في الفترة ما بعد 11 سبتمبر حرصت وسائل الإعلام الغربية المقرؤة والمسموعة والمرئية والإليكترونية على استخدام المفهوم بكثافة غير مسبوقة وتسويقه على نطاق واسع عبر الصحف والمجلات المعروفة وذات الشهرة في المجتمعات الغربية والتي تتمتع بنسبة عالية من المتابعين والقراء.

ثالثاً / الإسلاموفوبيا في الداخل الأمريكي:

في الداخل الأمريكي يذهب الكثيرون إلى أن أحداث 11 سبتمبر"شكلت صدمة للوعي الوطني الأمريكي، أدت إلى تصاعد نوع من القلق الذاتي والتخوف من المستقبل لدى المواطن الأمريكي. وكل هذا حرك مجموعة أسئلة لدى الأمريكيين حول ماهية ومصير الهوية الأمريكية وتحولاتها: من نحن ؟" (سعدي، 2005، ص 87).

فمنذ البدء جاءت ردة الفعل الأولية على تلك التساؤلات بطريقة ممنهجة وذات حمولات قيمية ودينية وإيديولوجية. حيث استحضر الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش تعبير"الحرب الصليبية"في

أول ظهور له بعد أحداث 11 سبتمبر. ورغم اعتذاره عن هذا التعبير بوصفه"زلة لسان"، إلا أن"الرئيس الأمريكي عاد ليفصح عن نواياه ومشاعره ضد الإسلام والمسلمين، قائلاً:"إن أمريكا هي مصدر الخير كله، والعالم الإسلامي هو مصدر الشر كله"(خضر، 2002، ص 90). ويمكن أن نورد هنا ملاحظات عدة تسعى إلى تصنيف وتفسير أهداف وغايات التوجه الأمريكي والغربي بصفة عامة للربط بين الإرهاب والإسلام بعد أحداث 11 سبتمبر بشكل واضح وجلي ومستفز، وذلك في النقاط الآتية:

1- عملية الربط بين الدين الإسلامي والإرهاب ووصم الإسلام والعرب والمسلمين بصفة عامة بأنهم"إرهابيين"، تأتي في إطار البحث عن"عدو". فالإسلام هو العدو الجاهز والمناسب والذي يخدم الهدف والغرض في مرحلة ما بعد 11 سبتمبر.فمن الملاحظ على سلوك السياسة الخارجية الأمريكية أنها تحتاج دائماً لخلق عدو منذ الهنود الحمر مروراً بالنازية والشيوعية – لتحفيز ما اسماه البعض ب"الأداء الداخلي". وحدث سبتمبر- كما يراه البعض - "وفر أرضية إضافية لذلك الاحتمال سواء أكان المعنى بذلك هو الإسلام أو العرب، بخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية (السعدون، 2002، ص 35).

2- الربط بين الإرهاب والإسلام يأتي في إطار تدعيم توجهات اليمين المحافظ الذي يسيطر على السياسة والحياة الأمريكية منذ حكم الرئيس بوش الأبن والداعي بشكل صريح إلى معاداة الإسلام والمسلمين. وهو توجه طغى على البعد السياسي في الداخل الأمريكي وقد أعتمد عليه بعض المرشحين للأنتخابات الأمريكية بغية كسب أصوات الناخبين، وهذا ما بدأ واضحا بشكل صريح في دعوة المرشح الجمهوري"دونالد ترامب"للأنتخابات الرئاسية الأمريكية 2016 في بيان له تحت عنوان"بيان دونالد ترامب لمنع هجرة المسلمين نشر في 7 ديسمبر /كانون الأول 2015. دعا إلى منع دخول المسلمين إلى الولايات المتحدة، وإضافة شارة مميزة لتمييز المواطنين الأمريكيين المسلمين في الداخل الأمريكي، وذلك كرد فعل على عملية"سان برنادينو"في كولومبيا .

3- أن الربط بين الإرهاب والإسلام يصب في صالح تيار"الإسلاموفوبيا"حيث بدأ تعبير"رهاب الإسلام"أو"الإسلاموفوبيا"شائعاً في أوساط الإمريكيين. و اتخذ هذا التيار بعدًا شموليًا عاماً وغير مسبوق بعد تحوله إلى ممارسة سلوكية لدى أغلبية اجتماعية، وأصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا

مألوفة في الداخل الأمريكي اعتبارًا من عام 2001 بعد أن كانت محصورة على مستوى أقلية محدودة. ويلاحظ هنا أن تيار الإسلاموفوبيا اتخذ أبعاداً عدة من حيث الاتي:

– البعد الرسمي والديني، فقد اتخذت موجه العنصرية والكراهية بخاصة ضد الإسلام والمسلمين منحى خطيراً تمثل في الهجوم على الإسلام كدين والعمل على تشويهه مما ولدُ موجة عارمة من مظاهر"التجديف وازدراء الأديان". واتخذت هذه الموجة طابعاً سياسياً رسمياً ودينياً أيضاً، حيث إضافة إلى تسويق مسؤولين كبار في الإدارة الإمريكية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للإسلاموفوبيا بما فيهم الرئيس الأمريكي نفسه، رغم اعتذارهم عن ذلك بحجة"زلات اللسان"كما رأينا سلفاً. نجد أنه في المقابل"بعد اعتداءات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، حاول إنجيليون كثيرون. ومنهم"فرانكلين غراهام"ابن القس الإنجيلي الشهير الذي أحيا إيمان جورج والكر بوش، وكان قد صرح في مقابلة له مع محطة"إن. بي. سي"أن الإسلام هو دين الشيطان" وهو يعتقد بأن"إله الإسلام ليس هو نفسه إله المسيحيين، وأن"القرآن يبشر بالعنف" (فوريست، فيلر، 2006، ص 331).

– البعد الأكاديمي، حيث نجد أن العديد من المراكز الأكاديمية و البحثية والعلمية في الولايات المتحدة انساقت وراء موجة الإسلاموفوبيا واتجهت الدراسات والأبحاث والجهود العلمية في أغلب المراكز الأكاديمية الأمريكية ومؤسساتها البحثية نحو ربط الإرهاب بالإسلام. واتجهت عدداً من الدراسات ذات الصلة بالإرهاب نحو الربط بين الإسلام والإرهاب أو ما سمي"الإرهاب الإسلامي"وهو ما بدأ واضحاً بعد 11 سبتمبر. لعل من أمثلة هذه الدراسات: "دراسة جون ايسبوسيتو Esposito John حول علاقة الدين الإسلامي بالإرهاب المنشورة عام 2002 ، بعنوان The unholy war: the war in the name of Islam. فقد شاع الاعتقاد لدى الكثير من الباحثين، ولاسيما في الغرب، أن"الأعمال الانتحارية"أو الإرهابية مرتبطة بالدين عموما، وبالإسلام على وجه الخصوص (لامة، 2015، ص 58).

– البعد الإعلامي والثقافي، حيث أتجهت القنوات الرسمية ووسائل الإعلام الأمريكية نحو تعبئة وتجييش الرأي العام الأمريكي في تجاه بث روح العداء والكراهية والانتقام ضد العرب والمسلمين ووصفهم بالإرهاب، ونعت الدين الإسلامي بالدين المحرض على الإرهاب والإجرام. في وقت صاغت فيه وسائل الإعلام الأمريكية عناوينها ومضامينها على الوتيرة ذاتها. حيث نجد أن"

وسائل الإعلام الإمريكية تعمدت بالذات التركيز على الصور السلبية للإسلام وترسيخها عن طريق الإيحاء بأن الإسلام هو العدو للأمة الأمريكية والإبقاء على مجهولية وضبابية العدو، وأعطته فقط تلميحات رمزية لفظية وصورية. وعادت وسائل الإعلام الغربية لممارسة التخويف بالغول الإسلامي على منوال الأساطير القديمة"(عبدلي، 2008، ص 12). وفي هذا السياق، أعلن بعض من المثقفين في الغرب، صراحة عن "أن الإسلام هو دين حرب وإرهاب" وأنه لا أمان لهذا العالم الإ بازالته من العالم"(الطائي، ص 560).

– البعد المادي، حيث الأدهى أن ظاهرة الإسلاموفوبيا انتقلت من الطور الرمزي والثقافي إلى البعد العملي والمادي العنيف، وتجسدت واقعاً في إطار موجة عداء ممنهجة استهدفت كل العرب والمسلمين وما يرمز إليهم وما يمت لهم بصلة في الداخل الأمريكي. وقد تراوحت درجات هذه الموجة العنصرية، ما بين القتل والإعتقال والإعتداء وحرق الممتلكات وتوجيه الإهانات والسب والقدح. وتميزت هذه الموجة، غير المسبوقة – في الولايات المتحدة – بالخلط بين العرب والمسلمين وأجناس مختلفة ليسوا كذلك مثل السيخ والهندوس واتباع ديانات أخرى "ففي أواسط تشرين الأول / أكتوبر 2001، وبعد أسابيع من الاعتداءات على برجي مركز التجارة العالمي، قالت اللجنة الأمريكية للحقوق المدنية إنها سجلت نحو مئتي اعتداء على "أمريكيين عرب، وعلى أمريكيين من شبه القارة الهندية، الجدير بالتنويه أن هذه الاعتداءات مثلت رد فعل عنصرياً، أكثر مما كانت تعبيراً عن رهاب الإرهاب. وقد اتخذ هذا الدفق من الكراهية هدفاً له أفراداً تدل عليهم سحناتهم، مع كل ما يصاحب المطاردة على أساس الشكل من عدم الدقة. وهكذا كانت أكثرية المئتين من المعتدى عليهم من السيخ أو الهنود" (فوريست، فيلر، 2006، ص 192). كما نشرت الجمعية العربية – الأمريكية منتصف عام 2003 تقريراً مفصلاً" يوثق العنف الموجه إلى أناس من المتصور أنهم عرب أو مسلمون في أثناء العام الأول الذي أعقب 11 / 9. فأبلغت هذه الجمعية عن أكثر من سبع مئة حادثة عنف في الأسابيع التسعة الأولى وحدها، وأكثر من ثمان مئة حالة تمييز في العمل" (هوغوبيان، 2006، ص 110).

– البعد المؤسسي، إذ نجد من ناحية أخرى، أن موجة العداء نحو الإسلام والمسلمين اتخذت طابعاً مؤسسياً وحركياً، حيث تم مأسسة ظاهرة الإسلاموفوبيا في الداخل الأمريكي، إذ أسس روبرت سبنسر وباميلا جيلر منظمة"أوقفوا إسلمة أمريكا"التي تروج لأجندة تآمرية معادية للمسلمين تحت

ستار مكافحة الأصولية. وهذه المجموعة تسعى لإثارة مخاوف الرأي العام بتشويه صورة الدين الإسلامي بتصويره بأنه يعمل على تدمير"القيم الأمريكية"(تقرير المركز التقدمي الأمريكي، ص 6-7).

ويلاحظ أن الطابع الحركي لظاهرة الإسلاموفوبيا في الداخل الأمريكي تمدد على نحو واسع ومؤثر في أكثر من 23 ولاية، على شكل مجموعات يسيطر عليها الخوف من الإسلام، وتجسدها منظمة بريجيت غبرائيل، "Act for America". كما يلاحظ أن تأثير هذه الحركة في الوسط الأمريكي كان ذو دلالة بالغة، حيث أنه"في سبتمبر 2010، اظهر استطلاع أجرته صحيفة واشنطن بوست وشبكة إيه بي سي نيوز أن نسبة 49 % من الأمريكيين لديهم نظرة سلبية عن الإسلام، فيما كانت هذه النسبة 39 % في أكتوبر / تشرين الأول من عام 2002، وهذا فارق كبير"(تقرير المركز التقدمي الأمريكي، ص 4-5).

رابعاً / الخلاصة والنتائج:

تناول هذا البحث موضوع "الإسلاموفوبيا: جدلية الدين والسياسة في المجتمع الأمريكي"على أكثر من مستوى تحليلي، في البداية عرض الباحثان لجدلية الديني والسياسي في تراث الفكر الإنساني، بوصفها جدلية قديمة ولكنها ظلت حاضرة في الفكر السياسي عبر مراحل تطوره وتحولاته الفكرية، وهي جدلية تطرح ذاتها في كل العصور وعبر مختلف الأزمنة والأماكن، بمعنى أن هذه الجدلية ليست وليدة بيئة محددة ولا مكان محدود بعينه. كما أنها ليست نتاجاً تتميز به حضارة أوثقافة دون سواها. و تناول الباحثان بالتحليل مفهوم الإسلاموفوبيا من حيث النشأة والتطور، ومن حيث المدلول اللغوي والاصطلاحي، وصولاً إلى التحولات الكيفية والكمية التي شهدها مفهوم الإسلاموفوبيا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث شهد هذا المفهوم كثافة في الاستعمال بخاصة في الأدبيات والوسائل الإعلامية الغربية، من جهة، ومن جهة ثانية، اكتسب المفهوم دلالات قيمية ودينية عميقة بدأت واضحة من خلال ربط الإسلام بالإرهاب، وكثافة استخدام مصطلح"الإرهاب الإسلامي". وفي الداخل الأمريكي، كحالة دراسية، تجلت أبعاد ظاهرة الإسلاموفوبيا على أكثر من مستوى، سواءً على المستوى الرسمي والديني، أو على المستوى الأكاديمي، وكذلك على المستوى الحركي والمؤسسي، حيث تم مأسسة المفهوم، عبر آليات مؤسسية عدة، بدأ حضورها واضحا في المجتمع الأمريكي، كما رأينا سلفاً. وعلى المستوى

الإعلامي والثقافي بدأ خطاب الإسلاموفوبيا طاغيا في وسائل الإعلام الأمريكية المقرؤة منها، والمسموعة والمرئية، فيما بدأ هذا الخطاب سائداً في الأوساط الثقافية الأمريكية، وأصبح يتردد بشكل ملحوظ على لسان المثقفين في الولايات المتحدة الأمريكية. بل أن ظاهرة الإسلاموفوبيا أصبحت ظاهرة تتغلغل في الوسط الشعبي الأمريكي، ومن ثم انتقالها إلى واقع مادي ملموس، يستهدف المسلمين والعرب في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن ظاهرة الإسلاموفوبيا انتقلت من الطور الرمزي والثقافي إلى البعد العملي والمادي العنيف، وتجسدت واقعاً في إطار موجة عداء ممنهجة استهدفت كل العرب والمسلمين وما يرمز إليهم وما يمت لهم بصلة في الداخل الأمريكي.

وخلص الباحثان في نهاية هذا العرض لموضوع الإسلاموفوبيا: جدلية الدين والسياسة في الداخل الأمريكي إلى النتائج الاتية:

1- ظاهرة الإسلاموفوبيا ليست جديدة بل هي ظاهرة قديمة متجددة تجد لها حضور في الفكر والواقع الغربي منذ أن بدأ الصراع الحضاري – الديني يطل برأسه بين الغرب والإسلام.

2- سياسات الإسلاموفوبيا التي اعتمدها الغرب تجاه الإسلام والمسلمين تدخل في سياق جدلية الديني والسياسي، فالإسلاموفوبيا هي إحدى تمثلات هذه الجدلية على صعيد الفكر والممارسة.

3- شهدت ظاهرة الإسلاموفوبيا تحولاً كمياً في كثافة الاستخدام في العالم الغربي بعد 11 سبتمبر 2001، كما شهدت تحولاً كيفيا في التناول عبر الربط ما بين مفهوم الإسلاموفوبيا ومفهوم الإرهابوفوبيا. في مسعى للربط ما بين الإسلام والإرهاب.

4- شهدت ظاهرة الإسلاموفوبيا نقلة نوعية في الداخل الأمريكي، وهي نقلة تمثلت في الطابع المؤسسي والحركي الذي اتسمت به ظاهرة الإسلاموفوبيا بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 التي استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية ورمزيتها الاقتصادية والعسكرية.

5- أن تأثير سياسات الإسلاموفوبيا في الداخل الأمريكي بعد 11 سبتمبر كان ذو دلالة بالغة، حيث أصبحت شرائح واسعة من الشعب الأمريكي أكثر قبولاً وتعاطياً واقتناعاً بخطاب الإسلاموفوبيا، وهذا ما كشفت عنه نتائج استطلاعات الرأي العام الأمريكي التي أكدت على أن النظرة السلبية تجاه الإسلام في الداخل الأمريكي قد تزايدت بشكل ملحوظ.

المراجع والمصادر:

أولاً / الكتب:

1- خضر، لطيفة إبراهيم (2002)، الإسلام في الفكر الغربي، (القاهرة: دار علاء للكتب).

2- خليفة، فريال حسن (2005)، الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، (القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع).

3- شاتيليه، فرانسوا وأخرون (1984)، تاريخ الأفكار السياسية، ترجمة: خليل أحمد خليل، (بيروت: معهد الإنماء العربي).

4- فوريست كارولين، فيلر فيامیتا (2006)، العلمانية على محك الأصوليات اليهودية والمسيحية والإسلامية، (دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع).

5- نيوف، صلاح على، مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، الجزء الأول، (كلية القانون والعلوم السياسية – الأكاديمية العربية، الدنمارك).

6- هاغوبيان، إيلين ك (2006)، استهداف العرب والمسلمين: الحقوق المدنية في خطر، ترجمة: د. محمد توفيق البجيرمي، (الرياض: دار العبيكان).

ثانياً / الدوريات العلمية:

1- رضوان، محمد فاضل (مجلة فكر ونقد المغربية، العدد76، 2006) الإسلاموفوبيا: قلق المفهوم وجدل الرؤى (نموذج فرنسا)،

2- السعدون، جاسم خالد مجلة المستقبل العربي، العدد 285، 2002)، أحداث 11 أيلول / سبتمبر وانعكاساتها على منطقة الخليج، (مركز دراسات الوحدة العربية).

3- سعدي، محمد (مجلة الدولية، العدد1، 2005) قراءة في كتاب صامويل هنتنغون: من نحن؟ الهوية الوطنية وصدام الثقافات، (جامعة القاضي بن عياض، مراكش).

4- عبدلي، حمد (مجلة المعيار، العدد18، 2008) صناعة الخوف في وسائل الإعلام وأثره على الرأي العام، (جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر).

5- الطائي، نظير محمود (مجلة العلوم القانونية والسياسية، عدد خاص) الإرهاب الدولي وانعكاساته على حقوق الإنسان في الشرق الأوسط.

6- لامة، فرج محمد (مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد12، 2013) الفكر السياسي القديم والوسيط: محاولة في التاصيل النظري (جامعة طرابلس).

7- لامة، فرج محمد (مجلة الجامعي، العدد22، 2015) الدراسات الامبيريقية في مجال الإرهاب: قضايا نظرية ومنهجية، (النقابة العامة لأعضاء هيأة التدريس).

ثالثاً / المواقع الإلكترونية:

1- إدناصر، العربي، الإسلاموفوبيا: وهم أم حقيقة ؟ موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

2- تمسارت، هشام، مفهوم الإسلاموفوبيا يثير نقاشاً فكرياً وسياسياً في فرنسا، موقع صحيفة هسبريس المغربية www.hespress.com

3- تقرير المركز التقدمي الأمريكي بعنوان"التخويف من الإسلام (الإسلاموفوبيا): جذور التخويف من الإسلام في الولايات المتحدة، موقع www.americanprogress.org

4- مصطلح ومفهوم الإسلاموفوبيا، موقع المجلة العلمية المغربية: www.9raya.net